



المؤتمر الدولي الأول

" جهود الأدباء والنقاد العرب : بين التقليد والتجديد "

٢٠١٤ / ٤ / ٢٣ - ٢١

كلية العلوم والآداب

١٩٨٦ م

١٤٠٦ هـ

جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية



موقف المستشرقين من الدراسات الأدبية العربية القديمة: دراسة نقدية

أ.م. الدكتور مالحه حاج يعقوب

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية معارف الوعي والعلوم الإنسانية-الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

الملخص

تهدف هذه الورقة البحثية من خلال المنهج الوصفي التحليل النقدي إلى الكشف عن موقف المستشرقين الغربيين إزاء الدراسات الأدبية العربية القديمة. نظرًا لما لذلك الموقف من أهمية بالغة في تاريخ الأدب العربي، وسوف تركز الورقة على مخطط تاريخ نمو اللغة العربية مناقشة الرأي القائل إن تاريخ الشعر العربي القديم لا يهتز على قرنين من الزمان قبل الإسلام، وهذا الرأي يحده متناثرًا في المصادر على شكل مقالات صغيرة مشتتة، واعتمادًا على هذه الفرضية، تحاول الباحثة أن تبرز آراء المستشرقين في هذه الدراسة لتحليلها ونقدها. وقد أشارت كثير من البحوث والدراسات إلى أن المستشرقين اجتهدوا كثيرًا في جمع المخطوطات، والنقوش الأدبية القديمة نحو: ملحمة جلجامش، والشرعية الحمورانية، والإلياذة والأوديسة، حيث ستبحث الباحثة عن مدى علاقتها بحضارة الأدب العربي، مستضيفة بذلك، لإثبات مدى علمية هذا الرأي ومصادقته، مستدلة بالشواهد والبراهين، وأقوال العلماء، والباحثة ترى أن هذه الدراسة مهمة جدًا للعالم الإسلامي والعربي، للتحقق من هذه القضية.

موقف المستشرقين من الدراسات الأدبيّة العربيّة القديمة: دراسة نقديّة

أ.م. الدكتورّة صالحة حاج يعقوب

قسم اللغة العربيّة وآدابها

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانيّة-الجامعة الإسلاميّة العالمية ماليزيا

المقدمة

- ▶ تهدف هذه الورقة البحثية من خلال المنهج الوصفي التحليل النقدي إلى الكشف عن موقف المستشرقين الغربيين إزاء الدراسات الأدبية العربية القديمة. نظرًا لما لذلك الموقف من أهمية بالغة في تاريخ الأدب العربي، وسوف تركز الورقة على مخطط تاريخ نمو اللغة العربية مناقشة الرأي القائل إن تاريخ الشعر العربي القديم لا يزيد على قرنين من الزمان قبل الإسلام، وهذا الرأي نجده متناثرًا في المصادر على شكل مقالات صغيرة مشتتة، واعتمادًا على هذه الفرضية، تحاول الباحثة أن تبرز آراء المستشرقين في هذه الدراسة لتحليلها ونقدها.

- وقد أشارت كثير من البحوث والدراسات إلى أن المستشرقين اجتهدوا كثيراً في جمع المخطوطات، والنقوش الأدبية القديمة نحو: ملحمة جلجامش، والشريعة الحمورابية، والإلياذة والأوديسة، حيث ستبحث الباحثة عن مدى علاقتها بحضارة الأدب العربي، مستضيئة بذلك، لإثبات مدى علمية هذا الرأي ومصادقيته، مستدلة بالشواهد وبالبراهين، وأقوال العلماء، والباحثة ترى أن هذه الدراسة مهمة جداً للعالم الإسلامي والعربي، للتحقق من هذه القضية.

ما المراد بآداب اللغة وأصحابها؟

- ▶ لقد ذكر الأستاذ جورجى زيدان أن آداب اللغة هي "الإنتاج العقلي والشعوري للأمة في مختلف الميادين العلمية والفلسفية، والأدبية عبر التاريخ، ومع دوراته المختلفة"

- ▶ قادت قلة المصادر العربية عن تاريخ الأمم القديمة لدى المسلمين الباحثين إلى الرجوع للمصادر الغربية، واليهودية.

- ▶ ومن المستشرقين الذين توجّهوا لدراسة الآثار الشرقية جورج سميت (البريطاني الذي درس آلاف
- ▶ النقوش القديمة المحفوظة في المتحف البريطاني

وقال سميت بعد اكتشافه أنّ لملحمة جلامش
إنّ تاريخها يعود إلى حوالي 4000 قبل الميلاد، وهي تُعدّ من أكمل
الملاحم القديمة حكايةً، وقصةً خاصةً في رواية الطوفان إذ إنّها جاءت
مشابهة لما ورد في التوراة

- ومن المؤسف أن ملحمة جلجامش لم تصبح مثلاً يحتذى أبطال الأمم في Landsberger الأخرى، وهذا شيء عجيب! وقد أثار هذه مؤتمر علمي بباريس عقد عام 1958م، وذكر على الغربيين الاعتراف أن ملحمة جلجامش تُعدُّ مصدرًا للأمم القديمة، وليست الأدوسية ولا الإلياذة لهوميروس القضية

- ▶ ولقد تأخرت ترجمة روايات ملحمة جلجامش إلى العربية إذ البابلية وقد اكتملت ترجمتها إلى اللغة العربية عام 1953م. ورأى طه باقر أن هذه الترجمة العربية هي الترجمة الوحيدة من بين جميع التراجم العالمية الشهيرة التي تقارب الأصل باللغة الأكادية البابلية بالنظر إلى وشائج القربي الوثيقة بين اللغتين العربية والأكادية البابلية بدأت 1950م

- ▶ غير أن ملحمة جلجامش، لم تحفظ للأجيال التالية لأن الكتابة لم تكن معروفة، وشأنها في ذلك شأن اللغات القديمة الأخرى. وظلّ أهل الغرب يعتقدون أن الأدوسية والإلياذة في الآداب الإغريقية هما أوّل مصدر من المصادر الأخرى للأمم القديمة

لماذا هذه الملحمة مهمة؟

- ▶ لأنها أول الملحمة تُرجمت إلى اللغة العربية في العالم!
- ▶ كما قال د. طه باقر:

- ▶ وهي مترجمة بتصرف دون التزام النقل سطرًا بسطرٍ، ولكنني وجدتُ أن هذه الطريقة مع إبقائها بعرض حوادث الملحمة ووقائعها، تفقدها، روعتها، وأفكارها، وتغييراتها الأصلية كما نظمها الشعراء القصاصون في العراق القديم قبل ما يزيد على أربعة آلاف عام مما يلقي ضوءًا كاشفًا على أقدم أساليب فكرية أدبية في العالم"

أي لغة مستخدمة فيها؟

- ▶ فكانت اللغة الأكادية البابلية هي أولى اللغات العربية القديمة التي وجدت طريقها إلى التدوين والحفظ، فقد كان لطبيعة المواد التي استخدمت للكتابة المسمارية، وهي الطين والحجر بالدرجة الرئيسية، فاللغة الأكادية شبيهة باللغة العربية، وفيها عديد من الأصوات الحلقية المشددة وغيرها من الأصوات التي لا وجود لها في اللغات الأوروبية

▶ لا يخفي على القراء أن اللغة العربية واللغة الأكادية من اللغات الساميات (واللغة الأكادية هي اللغة السامية الشرقية التي انتشرت في العراق بالدرجة الأولى، وتفرّعت عنها لهجات وفروع مختلفة أهمها البابلية والآشورية. وأن كليهما تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة هي عائلة اللغات السامية أي أنهما من أصل واحد فتتشابهان لذلك بمفرداتهما الأساسية وتراكيبها النحوية

الأدوسية والإلياذة في الآداب الإغريقية

- ▶ وظلّ أهل الغرب يعتقدون أنهما أول مصدر من المصادر الأخرى للأمم القديمة.

الأديب اللبناني الأستاذ سليمان البستاني في مقدمة تعريبه لإلياذة هوميروس، يرى أنّ الإغريق لم يكونوا يكتبون فقد كانوا يروون أشعار هوميروس رواية لا كتابة كما في الشعر الجاهلي، ولم تدوّن هذه الملحمة إلا بعد أن استخدموا الحروف الفينيقية، ثم نقلوا حروف اللاتنيين عن الإغريق في القرن السادس بعد تحسينها، ومنها تولدت معظم الأبجدية الأوروبية.

نجد أن جورجى زيدان قد قسم تاريخ الإغريق إلى سبع مراحل :

- وهي: (1) العصر الخرافى، (2) عصر الأبطال (900-700 ق.م)،
(3) عصر بداية الحضرة (700-500 ق.م)، (4) العصر الذهبى
(500-323 ق.م)، (5) العصر الإسكندري (323-146 ق.م)، (6)
العصر اليونانى الرومانى (146-550 ب.م)، (7) العصر البيزنطى
(550-1453 ب.م).

► وسترکز الباحثة على العصر الخرافي أي ما قبل عصر الأبطال، حيث يعدّ أقدم أزمان الأمة اليونانية، ولم يبقَ منه إلا القصص الخرافية (Mythos) عن الآلهة ونحوهم.

► وهنا يثور تساؤل مفاده: كيف كان العالم الآخر حين كان الإغريق في عصور الظلام و العصور الخرافية؟ الإجابة عن هذا التساؤل تحتاج إلى بيان مفهوم تطور الحضارة الإنسانية التي بدأت بوادي الرافدين.

► وقد اكتشف بعض المؤرخين أدلة قاطعة على أن الأكادية كانت اللغة الرسمية عندما اكتشفت ألواح مكسرة عن الأكادية في غرة مكتوبة بالخط المسماري التي تضمنت العقود المتعلقة ببيع الأراضي.

اللغات السامية

► أن استخدام كلمة "اللغات السامية" لسلو زر ذات دلالة قوية في النقاش، لأن كلّ اللغات السامية مما قصده كانت في الجزيرة، ولمَ لم تسمّ بلغات الجزيرة؟ وما الهدف من وراء التقسيم السامي؟

▶ اللغات السامية نسبة إلى سام بن نوح، واللغات الحامية نسبة إلى حام بن نوح، واللغات اليافية نسبة إلى يافت بن نوح، وكلهم من منبع واحد أي "الجزيرة"، فانتشروا وهاجروا إلى أماكن متعددة شمالاً وجنوباً وشرقاً بسبب تطوّر الحضارة الإنسانية ثقافة، ولغة، واجتماعيًا، وسياسيًا، واقتصاديًا. وهم كلهم من أصل واحد أي من آدم عليه السلام، وآدم من وادي الرافدين أي الجزيرة.

► وأما الادعاء الذي يزعم أن السومريين من أقدم الأمم القديمة أيضاً ففيه نظر، كانوا قد استوطنوا بعد المرحلة الذهبية الأكادية البابلية، شيء لا يُعقل أن أقدم السومريين منفرداً ومنفصلٌ بدون الأثر من الأمم الأخرى!

► كما ذكر جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" في الجزء الأول ركّز على العرب البائدة، والعرب العاربة (المستعربة) والعرب المستعربة إذ يقول إنّ عادًا، وثمودًا من العرب البائدة، وأمّا العرب العاربة فهوّلاء من أبناء يَعْرُب، ومنهم قحطان، وقبيلة جرهم من اليمن ومن قبائل العمالقة مثل: الزبّاء، وامرؤ القيس، وأمّ الجمال وغيره من الشعراء المشهورين، وأمّا العرب المستعربة فهم أبناء إسماعيل عليه السلام، لماذا باسم المفعول؟

► لأنّ إسماعيل عليه السلام ليس من العرب دمًا، بل هو من العجم بسبب
أن إبراهيم عليه السلام وسيدتنا هاجر ليسا من العرب، ودرس إسماعيل
عليه السلام اللغة الفصحى، وتعلمها في قبيلة جرهم.

► ومن هذه النقطة أدركنا أن العرب قد استوطنوا منذ القدم أرض الجزيرة.
وقد كشفت هذه النقوش عن الكثير، وقد وُجِدَت في اليمن على المعابد،
والعمد، والنصب، والأسورة، وفي شمال الحجاز كانت منازل ثمود،
والحيانيين وكذلك على حدود الشام.

► وكانت العرب، أسبق الأمم إلى المدنية، فإنهم أقدم في شرائعهم وقوانينهم من شريعة حمورابي التي عُثِرَ عليها في بلاد السوس منقوشة بالحرف المسماري على مسلة من الحجر الأسود في 1800 ق.م.. وتضمنت فيها شريعة متقدّمة جدًّا في قوانينها على سبيل المثال تبحث فيها عن طبقات الأمة، وحقوق المرأة وواجباتها، والزواج، والتبني، والأرث وغيرها.

الخلاصة

إن اكتشافات أثر حضارة الإنسان في وادي الرافدين إشارة واضحة إلى جهود المستشرقين في إبراز المنقوشات والمنحوتات في الجزيرة. نعم، دون شك لهم أهداف خاصة غير الأهداف المعلنة وغير أهدافنا، بل كل المعلومات التاريخية عن الأمم القديمة بأيديهم، وكأنهم وحدهم هم الذين يملكون المصادر الأساسية للأمم القديمة، فأين نحن المسلمون من هذا المجال؟! وكيف نلزم أنفسنا بأشياء ما قبل بعثة رسول الله ﷺ.؟!!

► بدون شك هناك من المسلمين منهم اهتموا وشغلوا أنفسهم بدراسة تاريخ الأمم القديمة، ولكن عددهم قليل جداً، ولا سيما أنهم قد تأخروا كثيراً في ترجمة ملحمة جلجامش (أول النقوش المكتشفة) إلى اللغة العربية فجاءت متأخرة جداً أي في سنة 1953م. إذًا، من المعقول أنّ المعلومات عن وادي الرافدين قد انحرفت انحرافاً واضحاً عن خطها الحقيقي. ليس كلّ المستشرقين هم على مسلك واحد، بل هناك من يحترمون البحث العلمي فبعضهم جادّون وموضوعيون في دراساتهم، وبحوثهم ويقفون مع الحق، ومنهم كما ذكر سابقاً. لهم أغراض سيئة، ويعملون على دسّ السمّ في الدّسم.